Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهم الأوس والخزرج[١] .

ونزل إخوتهم « بنو جفنة بن غسان » بأرض الشام ، فأسسوا بها إمارتهم العربية على حدود الروم . كما نزل المناذرة بالحيرة ، وقامت إمارتهم على حدود الفرس .

وفى الوادى الأجرد ، بين جبال الحجاز الصخرية ، كانت « مكة » أم القرى العربية ، معبداً لله تعالى من قديم الحقب ، ثم آلت إلى مركز للعبادة الوثنية : دين القبائل العربية فى شتى أنحاء الجزيرة .

وقد طال عليها الليل ، ولم تستطع طقوس الوثنية على كثافتها وغلظها ، أن تحجب سَنَا البيت العتيق ، أقدم بيتٍ عُبِدَ فِيه اللهُ على الأرض ، ولا أن تغض من حرمته التى لم يَزِدْها كرُّ الغداة ومرُّ العشىّ إلا عراقة ورسوخاً .

كما لم يستطع الضجيج الصاخب فى مواسم الحج إلى مكة وملتقى القبائل فى أسواقها بعُكاظ والمِجنَّة وذى المجاز ، أن يطوى ذكريات التاريخ الدينى لأم القرى ، من يوم أن رفع « إبراهيم القواعدَ من البيت وإسماعيل » وطهَّراه للطائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود .

وتتابعت الحقب والدهور ، وهذا البيت العتيق حَرَمٌ آمن ، ومثابة حج القبائل وموضع تقديسها . . .

* * *

وبقيت البِيدُ وراء هذه الأطراف المعمورة والمنازل الآهلة والحواضر من القرى ، فى عزلتها الرهيبة المرهوبة ، لا تجتازها القوافل فى رحلاتها للحج والتجارة ، إلا بحماية من العرب البدو سادة الصحراء ، ومع أدِلاء منهم خبراء بمجاهل الدروب وعمياء المسالك فى القفر الموحش .

وظل للصحراء سلطانُها المادى والمعنوى على الحضريين ، تفرض عليهم تفسيرها للظواهر والغوائل ، وتسيطر على تصوراتهم بخيالها الطلق ورؤيتها للكون والحياة ، وتشحن وجدانهم بما لديها من أسرار القفر .

وكما ردَّ الضاربون بالفلاة غوائل الطريق إلى ما جسَّمه الوهم من أفاعيل الغيلان ، شقّ عليهم وعلى الحضر فى القرى والإمارات ، تعليل الإلهام الشعرى وفراسة الكهان ودهاء السحرة ، فردُّوها إلى أصحاب من الجن يتصل الكاهن والساحر بها فى عالمها السفلى

---

(١) انظر تفصيل ذلك كله فى : كتاب (تاريخ مكة) للأزرقى وكتاب (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) للسمهودى .